الشعر
- ٢ -

فالشعر بشدة تأثيره في النفوس يرقق القلوب ويعطفها ويحمل على العفو عن المذنبين . وكم جاد به البخيل وبخل الجواد وشجع الجبان وجبن الشجاع وابغض الحبيب وحبب البغيض واستملح القبيح واستقبح المليح واطفئت نائرة الغضب وقبلت الشفاعات فيمن استحق أشد العقاب وصفح عمن استحق القتل وشاهده وقتل من نال العفو وعوقب من لا يستحق العقاب وفرج عمن هو في ضيق وأثار الفتن بين القبائل ولانت القلوب القاسية وقست اللينة وتعلم الجاهل واتعظ المتمادي وفرح الحزين وحزن الفرح وسلا الشجي وشجي الخلي واستغنى الفقير وافتقر الغني ونبه الخامل وخمل النابه واتضع الرفيع وارتفع الوضيع وقهر العدو وسر الولي وأدرك الثأر وفتحت البلاد الى غير ذلك مما يجده المطلع على أخبار الماضين من الشعراء والملوك والأمراء وغيرهم .

فمن ترقيق الشعر للقلوب ان النبي ﷺ بعد ما قتل النضر بن الحارث بن كلدة عقب أسره يوم بدر لشره وشدة اذاه لما سمع ابيات بنته أو اخته قتيلة التي تقول فيها :

أمحمد ولأنت ضنء نجيبة في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو منئت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق

رق لها وبكى وقال لو بلغني شعرها قبل قتله ما قتلته .

(ومن) الشعر الذي صار في عنق من قيل فيه كطوق الحمامة واتضع به الرفيع ان بني نمير كانوا جمرة من جمرات العرب وكانوا اذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بني نمير فلما قال فيهم جرير من قصيدة يهجو بها الراعي

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

جعلوا اذا سئلوا عن نسبهم لا ينتسبون الى نمير ويتجاوزونه الى ابيه عامر ابن صعصعة . ولما قال هذيل الأشجعي في عبد الملك بن عمير قاضي الكوفة من أبيات :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا كلمته ذات دل لحاجة ورام بأن يقضي تبختر أو سعل

روي واشتهر حتى قال عبد الملك ربما جاءتني السعلة والنخنخة وأنا في المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره .

وكان في العرب قبيلة تسمى (بني انف الناقة) وذلك ان جدهم قريع بن عوف ابن مالك نحر ناقة وقسمها على أولاده ونسي ولده جعفراً فأرسلته أمه اليه ولم يبق غير الرأس فأعطاه اياه فأدخل أصابعه في الأنف وجعل يجره فلقب انف الناقة فكان بنوه اذا سئلوا ممن يقولون من بني قريع فيتجاوزون جعفرا انف الناقة الى أبيه فرقاً من هذا الاسم الى ان نقل أحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس ابن جعفر انف الناقة الحطيئة الشاعر من ضيافة الزبرقان بن بدر الى ضيافته واحسن اليه فقال الحطيئة :

سيري أمام فان الأكثرين حصى والأكرمين اذا ما ينسبون ابا

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يفخرون بهذا النسب بعد ما كانوا يفرقون منه

ولما بذل عرابة الأوسي وسق بعير تمراً للشماخ بن ضرار في سنة شديدة قال فيه الشماخ :

رأيت عرابة الأوسي يسمو الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

صار ذلك مثلاً سائراً وأثراً باقياً .

(ومن) رفع الشعر الوضيع ان الأعشى قدم مكة وكان للمحلق امرأة او أم عاقلة فقالت له ان الأعشى قدم وهو رجل مفوه مجدود في الشعر ما مدح أحداً الا رفعه ولا هجا أحداً الا وضعه وأنت رجل فقير خامل الذكر ذو بنات فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما تشتري به شراباً لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له وخبزت المرأة واخرجت نجيا فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما اكل الأعشى واصحابه قدم الشراب واشتوى له من كبد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الناقة واطعمه من اطائبها فسأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنلت فقال الأعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

الى ان قال :

نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق

فما أتم القصيدة الا والناس يتسللون الى المحلق يهنئونه والأشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى .

(ومن) استملاح القبيح بسبب الشعر ما يحكى ان رجلاً قدم المدينة بخمر سود فبارت عليه فوعد بعض الشعراء بشيء من المال لينظم له شعراً في مدح الخمار الأسود فقال :

قل للمليحة في الخمار الأسود ما ذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة إزاره حتى قعدت له بباب المسجد

فتسابقت الناس على شراء تلك الخمر .

ومن تمليح الشعر ما ليس بمليح انه لا أبشع ولا أقذر من حالة اعرابي وسخ الثياب والبدن قد كثر القمل في ثيابه وانتشر فوق اهابه وتغلغل في شعره فجلس في الشمس يفلي ثيابه ويقتل منها القمل وقد صبغت أظافره بدمائها فلما وصف الشاعر العربي حاله وأجاد في وصفها بحسن أسلوبه كان ذلك من جملة مختارات ابي تمام في ديوان الحماسة ومما يتلى في المجامع وتلذه القلوب والمسامع وتشرح العلماء الفاظه وتعجب ببلاغته ويخلد ذكر من قاله وقيل فيه في بطون الكتب والا فماذا يتصور المتصور ان يفعل من يريد وصف اعرابي جلس في الشمس يفلي ثيابه ويقتل منها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القمل وماذا يستطيع ان يأتي به في هذا الموضوع قال ابو تمام في الحماسة وقال آخر ومر بأبي العلاء العقيلي يقلي ثيابه :

واذا مررت به مررت بقانص متشمس في شرفه مقرور
للقمل حول أبي العلاء مصارع من بين مقتول وبين عقير
وكأنهن لدى زرور قميصه فذ وتوأم سمسم مقشور
ضرج الأنامل من دماء قتيلها حنق على أخرى العدو مغير

(ومن) تبغيض الشعر للحبيب وتحبيبه للبغيض انه صرف رأي النعمان بن المنذر عن نديمه وجليسه المقدم عنده حين وفد على النعمان العبسيون والعامريون بنو أم البنين وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان فطعن على العامريين لعداوته لهم وصرف قلب النعمان عنهم فرأوا منه جفاء بعد ما كان يكرمهم وكان معهم لبيد الشاعر المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد وهي : الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وهو غلام يرعى ابلهم ويحفظ امتعتهم فرآهم يتناجون فسألهم فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا اسرح لكم بعيراً او تخبروني وكانت أمه عبسيه فقالوا له خالك غلبنا على الملك فقال اجمعوا بيني وبينه غداً عند الملك فامتحنوه ببقلة فذمها ابلغ ذم فقال لهم رئيسهم عامر بن جعفر ملاعب الأسنة انظروه فان رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرقبوه فوجدوه قد ركب رحلا يكدم وسطه حتى أصبح فألبسوه حلة ودخلوا به على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع فأنشد لبيد يقول :

يارب هيجا هي خير من دعه اذ لا تزال هامتي مقزعه
نحن بنو أم البنين الأربعه ونحن خير عامر بن صعصعه
القاربون الهام تحت الحيضعه والمطعمون الجفنة المدعدعه
مهلاً أبيت اللعن لاتأكل معه ان استه من برص ملمعه
يدخل فيها كل يوم اصبعه يدخلها حتى يواري اشجعه
كأنه يطلب شيئاً ضيعه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال النعمان للربيع اكذلك انت فقال كذب ابن الحمق اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد خبث علي طعامي وأمر الربيع بالانصراف الى أهله فطلب ان يبعث له من يجرده ليعلم أنه ليس كذلك فقال النعمان :

قد قيل ذلك ان حقاً وان كذباً فما اعتذارك من قول اذا قيلا

ومن تسبيب الشعر العفو عمن استحق العقوبة ان النبي ﷺ عفا عن كعب ابن زهير بن ابي سلمى بعد ما أهدر دمه وحباه وأكرمه لما أنشده قصيدته المشهورة المعروفة ببانت سعاد .

وعفا رسول الله ﷺ عن اسرى حنين من هوازن بشعر ابي جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال أسرنا النبي ﷺ يوم حنين فوقفت بين يديه وأنشدته :

أمنن علينا رسول الله في حرم فانك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
انا لنشكر للنعمى التي كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فقال ﷺ اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم فقالت الأنصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله .

وعفا المعتصم عن تميم بن جميل من الأوس بن تغلب بشعر قاله حيث خرج عليه فقدم الى السيف والنطع ليقتل فقال .

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي وأي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف يسل علي السيف فيه وأسكت
وما جزعي من ان اموت وانني لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين انعى اليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة اذود الردى عنهم وان مت موتوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكم قائل لا أبعد الله داره وآخر جذلان يسر ويشمت

ومن تسبيب الشعر العقوبة بعد العفو ان ابيات العبدي التي أنشدها عبد الله ابن علي بن عبد الله بن العباس بفلسطين وأولها (وقف المتيم في رسوم ديار) كانت سبباً في قتل من عنده من بني أمية وأبيات سديف بن ميمون التي أنشدها السفاح وأولها :

أصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس

كانت سبباً في قتل من عنده من بني أمية .

ومن قبول شفاعة المتشفع بسبب الشعر ان امرأة عاذت بقبر غالب ابي الفرزدق وضربت عليه فسطاطاً وكان الفرزدق لا يعوذ بقبر أبيه عائذ الا قضى حاجته فسأل الفرزدق عما نزل بها فقالت ان ابناً لي اسمه حبيش اغزي الى السند مع تميم ابن زيد وهو واحدي فكتب اليه الفرزدق :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يخفى عليّ جوابها
وهب لي حبيشاً واتخذ فيه منة لحرمة أم ما يسوغ شرابها
أتتني فعاذت يا تميم بغالب وبالحفرة الساقي عليه ترابها

فلم يعرف تميم ان اسمه حبيش او حنيش (لأن النقط لم تكن معروفة) ولم يعرف ابنها بعينه فعرض جميع من معه من الجند وأطلق كل من اسمه حبيش او حنيش .

وغضب مالك بن طوق على قومه بني تغلب حين أفسدوا الطرق في عمله فتشفعوا بأبي تمام فقال يخاطبه :

ورأيت قومك والإساءة منهم جرحى بظفر للزمان وناب
فمضت كهولهم ودبر أمرهم احداثهم تدبير غير صواب
لا رقة الحضر اللطيف غذتهم وتباعدوا عن فطنة الأعراب
فاذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب
لك في رسول الله أعظم اسوة واجلها في سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهم كرماً ورد احائذ الأحزاب

فقبل شفاعته فيهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وغضب سيف الدولة بن حمدان على بني كلاب فأغار عليهم فغنم الأموال وسبى الحريم فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله ان يذكرهم له في شعره ويشفع فيهم فقال من قصيدة :

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب
فإنهم عبيدك حيث كانوا اذا تدعو لنائبة أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا
وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب
وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب

ومن تسبيب الشعر تشجيع الجبان ان ابيات عمرو بن الأطنابة التي يقول فيها :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

كانت سبباً في توقف معاوية عن الهرب يوم صفين بعد ما وضع رجله في الركاب ليهرب .

ومن تسبيب الشعر اثارة الحمية وايقاع الفتن بين القبائل ان قول البسوس لما ضرب كليب ضرع ناقتها بسهم :

لو انني اصبحت في دار منعة لما ضيم زيد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي

هاجت حرباً بين بكر وتغلب بن وائل دامت اربعين سنة .

ومن تسبيب الشعر عقاب من لا يستحق العقاب ان بيتين قالتهما امرأة مدنية كانا سبباً في حلق رأس نصر بن حجاج ونفي الخليفة اياه الى البصرة وهما :

هل من سبيل الى خمر فاشربها او من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى طيب الأعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاج

ومن تسبيب الفرج عمن هو في ضيق ان عمر سمع وهو يتجسس في الليل امرأة تقول :

لقد طال هذا الليل وازور جانبه وليس الى جنبي خليل ألاعبه
فو الله لولا الله تخشى عواقبه لزعزع من هذا السرير جوانبه

فأرسل اليها فقالت ان زوجها في البعث فأمر برده وان لا يبقى الرجل في البعث اكثر من أربعة أشهر .

محسن الأمين الحسيني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net